الفصل الثاني (أصول الدبلوماسية الأندلسية)

المبحث الأول / مراسم استقبال وتوديع السفراء

المبحث الثاني / حصانة السفراء وصفاتهم

يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»[1]. لهذا سنتناول الإجراءات التي كان يقوم بها الرسول محمد (ص) عند استقباله للوفود قبل الحديث على مراسم الاستقبال في الأندلس حتى تكون مراسم الرسول دليلَ عمل وأساساً نعتمده في التعرف على التشابه والاختلاف إنْ وجدا بين ممارسات الرسول والممارسات التي سنتناولها لاحقاً.

إن من كان في قمة الهرم القيادي من سلاطين، وملوك وغيرهم؛ كانوا يظهرون زينة الملك وجماله أما الرسول محمد (ص) فكان يتجمل للقادمين من وفود، وعظماء. إن هذا الأمر ذو هيبة و تأثير في النفوس وسبيل لحصول التعظيم في الصدور. وقيل في هذا الأمر أيضاً أنه منسجم

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

مع العرف الإسلامي وهو أمر متعارف عليه وطبيعي [١]. وكذلك كان الرسول يكرم الذي يرد عليه من سراة قومه، فعندما وفد عليه زيد الخيل [٢] قام الرسول ببسط ردائه، وأجلسه عليه وقال في ذلك: «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه»[٣].

إن الأمر لم يقف عند هذا الحد في إجراءات الرسول محمد (ص)؛ بل كان يحسن المقابلة والإقبال على الوفد إذ يتلطف لهم في المخاطبة؛ وذلك تأنيسا لهم، فكان الرسول (ص) رفيقا بالوفد القادم كثير الترحيب بهم، فضلا عن الإذن للذي يريد التحدث لمن كان بمنزلة عالية بين قومه وهو أهل للحديث، ناهيك عن إفاضته بالإحسان على وفد التهنئة حتى يُدخل السرور عليهم ومبالغة في الترحيب بهم وهي كما قيل من سنن الملوك الحسنة [٤].

(١) ابن الأزرق، أبو عبد الله: بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (العراق، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م): ٢ / ٨٣ - ٨٤.

(٢) هو زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد ارم من طي، أدرك الإسلام ووفد على الرسول محمد (ص) مع وفد طي وسماه زيد الخير. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، تق و تع: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، (بيروت، د. ت): ٤ / ١٦٥ – ١٦٦؛ ابن الأزرق، المصدر السابق: ٢ / ٨٣ – ٨٤.

(٣) ابن الأزرق، المصدر نفسه، ص. ن.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٨٤، ٨٥.

أمّا فيما يتعلق بالأندلس فقد سطع نجم قرطبة أكثر في ظل الإسلام منذ أن جعلها عبد الرحمن الداخل [١] حاضرة له ولمن جاء من بعده من أبنائه، وأحفاده، إذ أضحت في عهده مهداً للحياة الرغيدة ومصدراً للحضارة وموطن استقطاب لرجالات الشعر والفلسفة والفنون فضلاً عن السفراء [٢].

ثم كان عصر الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر [٣] (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ/ ٩١٢ – ٩٦١م) عصراً للازدهار، والرقي في مجالات الحضارة العربية الإسلامية كافة في الأندلس، إذ كانت قرطبة مركزاً للإشعاع الحضاري [٤]، وكانت الدول النصرانية إلى القرن الحادي عشر الميلادي

---

(١) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ويكنى أبا المطرف، ولد في الشام سنة ثلاث عشرة ومائة، وأمه اسمها" راح " هرب لما ظهرت دولة بني العباس ولم يزل مستتراً إلى أن دخل الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تص: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م): ١ /١١؛ الضبي، المصدر السابق، ص ١٨؛ وللتعرف على نسب عبد الرحمن ينظر: ملحق رقم (٥).

(٢) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله تولى الأمر وله اثنان وعشرون سنة، وعندما بلغه ضعف الخلافة بالعراق في أيام المقتدر، وظهور الشيعة بالقيروان تسمى عبد الرحمن بأمير المؤمنين، وتلقب بالناصر لدين الله. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ر: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط ٣، (بيروت، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م)، ص ١٠٠؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٢١؛ ملحق رقم (٦).

(٤) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٩٢.

تابعة وأشبه ما تكون بالمحميات للدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وكانت العاصمة قرطبة كأنها العاصمة الكبرى لأسبانيا إذ يفد إليها السفراء والوفود يقدمون فروض الطاعة، والولاء لمن في دفة الحكم فيها ويستظلون به. وكانت الوفود تصل إلى بلاط الخليفة الناصر والخليفة الحكم المستنصر فتنبهر مما ترى من عظمة الموقف [١].

إن الدبلوماسية تزدهر وتتطور بازدهار وتطور الحضارة وبما أن الحضارة الأندلسية وصلت إلى قمة ازدهارها فان هذا بدوره ينعكس على ازدهار المجال الدبلوماسي إذ بلغ القمة في عصر عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر [٢] (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦م) وراحت قرطبة تعج بالسفراء من كل حدب وصوب من الشرق، والغرب [٣]، إذ وصلت المراسم الخاصة بالمقابلات الحد العالي الذي تجاوزت فيه كل البلاد في ذلك الزمان، ومن الحري ذكره هنا الحقوق والحصانات التي

(١) عبد البديع، لطفي: الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية بإشراف الدكتور احمد عزت عبد الكريم، مكتبة النهضة المصرية، ط١، (القاهرة، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م) ص ٨٩.

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر والملقب بالمستنصر ولي سنة خمسين وثلاث مائة وكان عمره سبعا وأربعين سنة ويكنى أبا العاص، أمه تسمى مرجان، كان محبا للعلم مكرما لأهله. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق: ١ / ١٥؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ١٩؛ ملحق رقم (٦).

(٣) الحجي، أندلسيات: ١ / ٤٥.

كانت تتمتع بها الوفود القادمة إلى الأندلس بل إن السفراء كانوا يكرمون وتقدم لهم الأعطيات والهدايا تكريماً لهم ولمرسليهم[١].

مراسم استقبال وتوديع السفراء

لاشك في إن الحديث عن مراسم استقبال السفراء وتوديعهم يحتم علينا تسليط الضوء على العصر الذي وصلت فيه الأندلس إلى قمة التحضر والتمدن الذي شمل مرافق الحياة كلها، ويضمنها قواعد أو أصول الدبلوماسية، ومنها مراسم الاستقبال التي كانت تمارس من أجل السفراء، ولعل هذا الأمر يمكن ملاحظته بوضوح في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م)، ولهذا سنقوم بتتبع دخول إحدى السفارات إلى الأندلس حتى نستطيع التعرف على مراسم الاستقبال المتبعة في ذلك العصر.

لقد وفدت على قرطبة في سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م رسل إمبراطور الروم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية وهديته، واحتفل الخليفة عبد الرحمن الناصر لقدومهم في يوم مشهود[٢]. وقد تحدث النباهي عن ذلك بقوله: «إن الناصر لدين الله، لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم، صاحب القسطنطينية عليه، بقصر قرطبة، الاحتفال الذي

(١) الحجي، عبد الرحمن علي: الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الرشاد، ط١، (بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص٦٦.

(٢) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤١.

شهد ذكره في الناس، أحب أن يقيم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلالة مقعده، ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة في دولته. وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء. فأمر الحكم صنيعته الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني بالتأهب لذلك، وإعداد خطبة بليغة، يقوم بها بين يدي الخليفة. وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسعه. وحضر المجلس السلطاني. فلما قام يحاول الحديث بما رآه، بهره هول المقام وأبهة الخلافة؛ فلم يهتد إلى لفظة، بل غشي عليه، وسقط إلى الأرض. فقيل لأبي علي البغدادي إسماعيل بن القاسم [1]، صنيعة الخليفة وأمير الكلام:« قم! فارقع هذا الوهي!».

فقام؛ فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم ! – ثم انقطع به القول؛ فوقف ساكتاً، مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه. فلما رأى ذلك منذر بن سعيد (وكان ممن

(١) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي، جده سلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي، ولد بمناز جرد من ديار بكر فنشأ بها ورحل منها إلى العراق لطلب العلم، دخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م وأقام بها خمساً وعشرين سنة. ثم قصد المغرب و وصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ١٤٥ – ١٤٧؛ الضبي، المصدر السابق: ١٩٧ – ١٩٩؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، ر: وزارة المعارف العمومية، مكتبة القراءة والثقافة الأدبية، (القاهرة، د. ت): ٧ / ٢٥ – ٣٣؛ ابن خلكان، المصدر السابق: ١ / ٢٢٦ – ٢٢٨.

حضر في زمرة الفقهاء)، قام من ذاته؛ فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب، وفصل مصيب، يسحه سحاً، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي»[١]. ويذكر ابن خلدون ما نصه «واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وتنكب فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئة وزي وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم، ودخل الرسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدّوا رسالتهم. وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا في ذلك المحفل، ويعظموا أمر الإسلام والخلافة، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وإعزازه، وذله عدوّه فاستعدوا لذلك. ثم بهرهم هول المجلس فرجعوا وشرعوا في الغزل فارتج عليهم، وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق، وكان في جملة الحكم ولي العهد، وندبه لذلك استئثاراً لفخره، فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي [٢] من غير استعداد ولا روية،

(١) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين: تاريخ قضاة الأندلس– كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥، (بيروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م) ص ٦٦.

(٢) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الكزنى (نسبة إلى فخذ من البربر يسمى كزنة)، ولي قضاء الجماعة والصلاة سنة ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م في حياة الحكم المستنصر وكان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً وخطيباً على المنابر. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي: قضاة قرطبة و علماء أفريقية، تصحيح: عزت العطار الحسيني، (د. م، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م)، ص ١٧٥ – ١٧٦ و الحميدي، المصدر

ولا تقدم له أحد في ذلك بشيء فخطب[١] واستخفر وجلى في ذلك القصد، وأنشد آخره شعراً طويلاً ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس، وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع. وأعجب الناصر به وولاه القضاء بعدها، وأصبح من رجالات العالم، وأخباره مشهورة.... ثم انصرف هؤلاء الرسل...»[٢].

أما المقري فروى طريقة الاستقبال فيما نصه:

«وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلقي وأفخمه، وأحسن قبول وأكرمه، وأخرج إلى لقائهم ببجاية[٣] يحيى بن محمد بن

السابق، ص ٣١٥ – ٣١٦؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: ٢ / ١٤٢؛ المقري، المصدر السابق: ٢ / ٢٢٣.

(١) يبدأ خطبته ويقول: أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاما، ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إلي معشر الملأ بأسماعكم، وأتقنوا عني بأفئدتكم. إن من الحق أن يقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت. وإن الجليل تعالى في سمائه، وتقدس بصفاته وأسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم.....ولتكملة الخطبة ينظر: حمادة، محمد ماهر:الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية ٦٤ – ٨٩٧ هـ / ٦٨٣ – ١٤٩٢ م، منشورات مؤسسة الرسالة، (دمشق، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، ص١٨١ – ١٨٤.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١.

(٣) مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٤ م. ولكن هذا التاريخ يرد بعد تاريخ حدوث السفارة فضلاً عن موقع هذه المدينة الذي هو خارج الأندلس. وهذا الأمر يجعلنا نرجح اسم مدينة أخرى ونعده هو الاسم المعني لتلك المدينة وهي مدينة ‹ بجانة › وهي مدينة بالأندلس من

الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج إلى لقائهم القواد في العدد والعدة والتعبية، فتلقوهم قائدا بعد قائد، وكمل اختصاصهم بعد ذلك، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسراً وتمّاماً إبلاغا في الاحتفال بهم، فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه، لأن الفتيان حينئذ عظماء الدولة لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطاني، وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة إلى نصير بعدوة قرطبة في الربض، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طراً، ورُتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً لأربع دول، لكل دولة أربع منهم، ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيه الحكم...»[1].

أعمال كورة البيرة، خربت وقد انتقل أهلها إلى المرية، بينها وبين المرية فرسخان وبينها وبين غرناطة مائة ميل أي ٢٥٩ كم مربع، ويبدو أن سبب هذا الالتباس يعود إلى التشابه في اسم المدينتين. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي، معجم البلدان: ٣ / ٣٣٩؛ مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل، ط ١، (الكويت، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م): ١ / ١٨٨ - ١٨٩.

(١) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤٣.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بالرغم من تطابق الروايات عند المؤرخين عن تلك السفارة؛ إلا أن هناك اختلافاً في تاريخ وصولها فعلى سبيل المثال أن ابن خلدون يقول: «ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته...»[١]، أما المقري فيشير إلى تاريخ غير هذا هو سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة [٢]، ومهما يكن من أمر فإن السفارة واقعة ومراسمها واضحة كما مر بنا من قبل.

لقد بدأت مراسم الاستقبال عندما أرسل الخليفة الناصر من يلقى السفراء القادمين عندما يصلون الشاطئ الأندلسي في (بجانة)؛ حتى يقوموا على راحتهم وإرشادهم إلى الطريق الموصل إلى قرطبة، إذ أنتدب لهذه المهمة أحد القادة الأندلسيين وهو يحيى بن محمد بن الليث، وعندما وصل الركب بالقرب من عاصمة الخلافة قرطبة قام باستقبالهم قادة الأندلس بكامل معداتهم الحربية من عدة وعتاد القائد بعد القائد حتى وصل السفراء إلى أبرز فتيين مقربين إلى الناصر واللذين بيديهما مفاتيح القصر السلطاني وهما ياسر وتمام، اللذين صحبا السفراء إلى دار الضيافة بقصر أعد لهذا الغرض في قرطبة، وقد منع الخاصة والعامة من الاتصال بهؤلاء السفراء ووضع في خدمتهم عدد من الموالي وذلك للسهر على راحتهم وقد بقي السفراء في ضيافة الخليفة منتظرين مقابلة الخليفة إذ لم

(١) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧١.

(٢) المقري، المصدر السابق: ١ / ٣٤٣.

تتم لهم المقابلة إلا بعد أن مضى على وجودهم في قرطبة ما يقرب الشهر عندئذ تمت المقابلة الرسمية لهم [١].

يتضح مما تقدم إن مراسم استقبال السفراء تبدأ عندما يصل السفير، أو سفراء الدول إلى حدود الأندلس ولا تتم مقابلة الخليفة مباشرة؛ بل تطول أو تقصر حتى يأمر الخليفة بالمقابلة. كما تبرز عظمة المراسم التي استقبل بها سفراء القسطنطينية من خلال الاهتمام الواضح بتلك المراسم التي ظهرت في مظاهر الزينة التي زين بها القصر. وكذلك فيمن حضر تلك المراسم من أقارب وحاشية الخليفة فضلاً عن القادة والجند والمسؤولين في الدولة. وهذا دليل واضح على ما وصلت إليه الدبلوماسية الأندلسية في عصر الخلافة الأموية من رقي وازدهار.

وفي وصف آخر لمظاهر الأبهة والعظمة ما ظهر في زيارة سفير مسيحي إذ أمر الخليفة أن تمد الطنافس [٢] على الأرض إلى أن تصل مدخل مدينة الزهراء وإن هذه المسافة تقدر بثلاثة فراسخ وضع على جانبيها صفين من الجنود رافعي سيوفهم التي تمتاز طولاً وعرضاً حتى إن رؤوسها تصل أطواق السقوف، وكان الخليفة أوعز بمسير السفراء القادمين بين صفي الجند وهو ما يشبه سيرهم في ممر مسقوف، ومما لاشك فيه فإن هذا المنظر يثير الرعب في النفوس خاصة لمن كان غريباً

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) مطنفس هو نوع من نسيج ذي وبر من صناعة أوربا. ينظر: دوزي، تكملة المعاجم: ٧ / ٨٣.

عن الأندلس المسلمة. أما الأرض التي كانوا يمرون عليها فكانت مغطاة بالخز والبز إلى أن يصلوا القصر الذي يستقبلهم فيه الخليفة، وقد أجلس الخليفة عدداً من سَراة القوم بمسافات محددة ويجلسون بمواضع مخصصة للملوك ويلبسون ثياب من الحرير والخز الثمين ومن كل هذا اعتقد السفراء إن هؤلاء ملوكٌ وكانوا ينحنون إليهم في كل مرة يبصرون أحد منهم معتقدين إنه الخليفة فكان يقال للسفراء أرفعوا رؤوسكم فما هذا إلا عبد من عبيد الخليفة وفي نهاية الأمر يصل السفراء إلى مكان منثور بالرمل يجلس في وسطه الخليفة بثياب قصيرةٍ خشنة خافظاً رأسه وأمامه مصحف وبجنبه سيف وموقد. وهنا يقال للسفراء: أنظروا هذا هو الخليفة [1].

يتضح من هذا النص والنصوص السابقة التي أوردها المؤرخون أن الاهتمام الكبير، والواضح في مراسيم الاستقبال كان مرده إلى أسباب عدة منها أهمية الوفد القادم وسفرائه وإن الاهتمام بهم يولد انطباعاً حسناً لديهم عن البلاد التي قدموا إليها واحترامها لمن أرسلهم، كذلك إن ذلك الاهتمام هو تعبير واضح عن تطور ورقي الأساليب، والقواعد أو الأصول الدبلوماسية في الأندلس وفي مستوى التحضر والرقي الذي وصلت إليه قرطبة في ذلك الوقت في تعاملها الدبلوماسي الناضج ذي المعنى السياسي مع السفراء والذي وصل إلى مستويات متقدمة؛ فضلاً عن المحاولة في زرع الخوف،والهيبة في داخل نفوس السفراء من خلال

(١) هيلنبراند، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١ / ١٩٩ – ٢٠٠.

إظهار رموز القوة لهم، الأمر الذي يجعلهم ينقلون مشاهداتهم هذه إلى بلادهم وبذلك يقومون بكبح جماح كل من تسول له نفسه التفكير بالاعتداء على الأندلس. إن عظمة مراسم الاستقبال، وبروز روعة

الملك وفخامة السلطان تجلت واضحة، وظهر تأثيرها على أهل البلاد أنفسهم فيمن حضروا مجلس الخليفة، فما بالك بالغرباء ؟ لعل أدل شيء على ذلك عجز الخطباء عن إلقاء خطبهم بين يدي الخليفة الناصر بسبب هول المقام وانبهارهم بما يحيط بهم من أبهة وفخامة.

إن مما تجدر الإشارة إليه ونحن بصدد أصول الدبلوماسية التطرق إلى أوراق الاعتماد التي هي: كتاب صادر عن الخليفة شخصياً به تعريف بالسفير والهدف من الرسالة التي يحملها، وفيه طلبٌ من أولي الأمر الوافد عليهم أو المرسل إليهم السفير باعتماده عندهم فيما يقوله وما يفعله وأنه ثقة وأمين، ويكتب تلك الأوراق كاتب خصص لهذا الأمر وباللغة العربية[1].

لقد حرصت الدولة العربية الإسلامية على تزويد سفرائها بتلك الأوراق وكذلك اهتمت بتقديره عند السفراء القادمين عليها. ومثلما اهتمت الدولة العربية الإسلامية بنوعية ورق الاعتماد، كان لهذا الاهتمام

---

(١) ابن الفراء، أبوعلي الحسين بن محمد: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م)، ص١٣١. وينظر: العدوي،المرجع السابق، ص ٤٣ – ٤٤.

نظير في الدولة البيزنطية حيث الاعتناء بنوعية ورق الاعتماد، ويتضح ذلك بكتاب اعتماد ملك الروم إلى عبد الرحمن الناصر [١].

لقد كان كتاب الاعتماد المسيحي (النصراني) قد كتب في جلدٍ رقيق صبغ باللون السماوي، ومكتوباً بالخط الإغريقي المذهب، كما وضع على الكتاب طابع من ذهب يزن أربعة مثاقيل، وعلى وجه منه صورة المسيح وعلى الوجه الآخر صورة الإمبراطور قسطنطين وصورة ولده. وقد وضع الكتاب داخل ما يشبه حافظه مصنوعة من الفضة ومنقوش عليها غطاء ذهبي عليه صورة قسطنطين الإمبراطور صنعت من زجاج ملون، وكانت الحافظة وضعت في جعبة ملبسة بالديباج [٢]. وإلى جانب أوراق الاعتماد كانت أوراق الجواز يذكر فيها اسم السفير، أو الرسول ولقبه وصفته والجهة المتوجه إليها؛ فضلاً عن رجاء بتسهيل مهمة تنقل السفير، أو الرسول بحمله على خيول البريد التي كانت أحسن وأسرع وسائل المواصلات في ذلك العصر ومعاملته بإكرام [٣].

إن أوراق السفر هذه تتشابه إلى حد ما مع جواز السفر الدبلوماسي الذي يستعمل في الوقت الحاضر مع بعض الاختلاف من حيث لا يكتب به تسهيل تنقل السفير وحمله بخَيل البريد؛ بسبب تطور طرق ووسائل المواصلات في العصر الحاضر. وقد اعتاد الملوك العرب أن يحملوا

(١) العدوي، المرجع نفسه، ص٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص. ن. وينظر: عنان، دولة الإسلام، ص٤٥٣.

(٣) العدوي، المرجع نفسه، ص ٤٦.

الرسول كتاباً للتعريف بشخصه مع ذكر الغرض من رسالته؛ فضلاً عن طلبهم اعتماده بكل ما يفعل وإنه أمين ومن الثقاة [١]، وقد تطرقنا إلى ذلك من قبل وحددنا ذلك الكتاب بأوراق الاعتماد.

لقد اعتاد من كان في دفة الحكم في الأندلس الاحتفاء بالسفراء والوفود وإكرامهم وتقديم الهدايا للسفير ومن كان بمعيته، فهذا الحكم المستنصر يكرم الرسل القادمين إليه من أسبانيا الشمالية ويحتفل لقدومهم فهذه أم لذريق بن بلاكش القومس الأكبر بالقرب من جليقية وفدت على بلاط الحكم المستنصر سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م تهدف إلى عقد السلم لابنها فأخرج لها الحكم من يستقبلها وقد أحتفل بقدومها احتفالاً كبيراً في يوم مشهود وحملت على بغلة توشحت بملحفة من الديباج وسرج ولجام مثقلين بالذهب وعقد لها السلم كما طلبت وأعطيت مالاً تقسمه بين وفدها المرافق لها [٢].

أما مراسم توديع السفراء فنستطيع أن نلمسها بعد نهاية مراسم الاستقبال وما تمخض عنه من نتائج. عندما تنتهي مهمة السفير وينجح في تحقيق هدف السفارة تقدم له الهدايا من الملك أيضاً. ويقوم الخليفة بتوديعه بنفسه كما حصل في توديع الوفد الألماني عندما غادر قرطبة عام (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)[٣]. إلا أنَ الوضع يختلف عندما يفشل السفير في مهمته

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق: ٤ / ١٧٤ – ١٧٥.

(٣) الحجي، اندلسيات: ١ / ٥٣.

نتيجة لسوء تصرفه، ويصبح الخليفة غير راض عن سلوكه، فعلى سبيل المثال عندما استقبل الحكم المستنصر رسل وصية ملك ليون في (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) قام هؤلاء الرسل بالحديث مع الخليفة بكلام غير لائق. وبألفاظ لا تتناسب والموقف وكونهم رسلاً. وكان يترجم لهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى في قرطبة، فما كان من الخليفة إلا أنه رفض هذا الكلام وأنّب المترجم، ثم طرده وأنهى المقابلة بعد أن وبخ السفراء، وبعد هذه الحادثة قام باستقبال

السفراء القائد زياد بن أفلح الذي افهم الرسل بأنهم لهم حصانه؛ لأنهم رسل ولولا ذلك لتمت معاقبتهم في الحال[١].

من خلال ما تقدم نصل إلى أن مراسم التوديع لا تقل أهمية عن مراسم الاستقبال إلا إنها تختلف عنها من حيث التزام السفراء بالأعراف الدبلوماسية السائدة من عدمه ففي الأولى يكرم السفير ويودع بمثل ما استقبل به من حفاوة، وتقدير وفي الثانية يرفض تصرفه ويستهجن ولولا الحصانة[٢] التي يتمتع بها السفراء لعوقب.

إن تلك المراسم المتمثلة باستقبال السفراء إنْ دلت عن شيء فإنها تدل على التقاليد المتعارف عليها والسائدة في ذلك العصر التي بلغت ذروة تطورها من خلال ذلك النشاط الدبلوماسي وفي نفس الوقت تشير

(١) الحجي، اندلسيات: ٢ / ١٠٠ – ١٠١.

(٢) سنتناول موضوع الحصانة في المبحث القادم.

إلى الرقي الذي وصلت إليه قرطبة. إذ وصلت قرطبة إلى قمة عصورها الزاهية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر [١].

حصانة السفراء وصفاتهم

الحصانة: هي ما يتمتع به السفير الأجنبي من حقوق، وامتيازات في الدولة المرسل إليها، ويعد هذا الموضوع من أهم مقومات الدبلوماسية[٢].

إن الأعراف المتبعة في ذلك العصر تشير إلى أن الرسول، أو السفير يتمتع بالحصانة الدبلوماسية. وإن الدولة العربية الإسلامية أعطت للسفراء القادمين إليها ومن كان بمعيتهم الأمان والحصانة خلال إقامتهم في أراضي الدولة العربية الإسلامية حتى يعودوا إلى أوطانهم ولا يصيبهم أذى إذ تصان أموالهم وأمتعتهم. إن هذا الأمر التزم به العرب المسلمون خلال حكمهم حتى مع خصومهم [٣]. ولم يذكر التاريخ حادثة عاملت بها الدولة العربية الإسلامية الوافدين عليها من سفراء معاملة تخرج عن نطاق قواعد الدبلوماسية من أمان للسفراء وحصانتهم؛ فضلاً عن إعطاء السفراء مميزات دبلوماسية كالإعفاء من الضرائب التي تفرضها الدولة على مواطنيها وكان السفير يعفى من الرسوم الكمركية المفروضة على الأمتعة ومقابل ذلك كانت الدولة تراقب السفراء حتى لا يستغلوا الميزات

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) الفتلاوي، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٣) الآلوسي، المرجع السابق، ص ٣١.

الممنوحة لهم بما يضر بأمن الدولة فضلاً عن تمتع السفير بحرية العبادة [١].

يبدو لنا أن الدولة العربية الإسلامية؛ وعلى امتداد ارض الإسلام قد وصلت إلى درجة عالية من الرقي والتقدم لأن الميزات المعطاة إلى السفراء تنم عن ممارسات شبيهة أو أكثر منها كانت تمارسها مع رعاياها من حرية عبادة وحرية معتقد فضلاً عن وجود جهاز رقابي.

أما الوفود والسفارات القادمة إلى الأندلس كانت لها حصانات وحقوق ترعاها السلطات في قرطبة [٢]. وعندما تصدر إساءة من الوفد، أو السفير ويخرج هذا الأخير عن الأصول الدبلوماسية التي يجب أن يتصف به، عند ذلك ينبه، وينذر وتقوم السلطات بإفهامه بأنه سفير ولولا صفته كسفير لعوقب مثلما حصل لرسل وصية ملك ليون عندما أساؤوا في حضرة الخليفة.

أما فيما يتعلق بصفات السفراء فالسفير ليس شخصاً كبقية الأشخاص من خلال تمتعه بسمات وصفات تأهله لكي ينتدب كسفير عن الأمير أو الخليفة، ولنا في السمات والصفات التي يتمتع بها سفراء الرسول محمد (ص) ورسله مثال حي يقتدى به عند اختيار السفير في الدولة العربية الإسلامية. فأولى تلك الصفات هي الأيمان العميق بأن الإسلام حق

(١) العدوي، المرجع السابق، ص ٥٠، ٥١.

(٢) الحجي، الحضارة الاسلامية، ص ٦٦.

خالص؛ لأنه هدى الله وما عداه ضلال، ثم الفصاحة التي يتمتع بها عرب شبه الجزيرة العربية بسبب قلة اختلاطهم بالأعاجم، ثم العلم الذي تمتع به السفراء إذ كانوا الصفوة في العلم، ثم حسن الخلق وما يحمله من صفات كثيرة: كالصدق، والرحمة، والتواضع، وغيرها، ثم الصبر وهو نصف الإيمان وقد حث عليه القرآن الكريم كثيراً، ثم الشجاعة التي تعتبر ضرورية لا للسفير حسب وإنما لكل إنسان ثم الحكمة إذ لابد للسفير من أنْ يكون ذكياً مقنعاً متزناً، غير متهور وحسن التصرف، ثم سعة الحيلة من خلال فهم الإيماء مكينا من عقله المراجع لنفسه والكتوم، وأخيرا المظهر وهو الشكل والمظهر الجميل [١].

لقد اهتم العرب كثيرا بالصفات التي يجب أن يتمتع بها السفير وجهدوا على أنْ يجعلوه كاملاً بعيداً عن النقص وقد قسموا تلك الصفات على ثلاثة أقسام رئيسة هي الصفات الجسمانية والخلقية والثقافية [٢]. أما الصفات الجسمانية فكان: «يستحب في الرسول تمام القد وامتداد الطول وعبالة [٣] الجسم، فلا يكون قميئاً أو ضئيلاً. جهير الصوت وسيماً لا تقتحمه العيون ولا تزدريه النواظر.... وان كان المرء بأصغريه ومخبوءا تحت لسانه، ولكن الصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان»[٤].

---

(١) خطاب، محمود شيت: السفارات النبوية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ٣٢٥ وما بعدها.

(٢) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٣) من عبل وتعني الضخامة ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٤٠٩.

(٤) ابن الفراء، المصدر السابق، ص. ن.

وإنّ «أعين الملوك تسبق إلى ذوى الرواء من الرسل، وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها خطا من خطوط الكمال ولأنها تنفذ واحدا إلى أمة وفذاً إلى جماعة وشخصا إلى شخوص كثيرة. فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوفة إليه فلا تقتحمه. ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره»[١].

أما ما يتعلق بالصفات الخلقية الواجب توافرها عند الرسول فهي نفاذ الرأي، وحصافة العقل، وحسن استنباط غوامض الأمور[٢]. «وينبغي أن يكون حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ليعجب السامع بطلاوة حديثه ويسحره بحلاوة لسانه، ويفتنه بخلابة لفظه. ثم ليكون كلامه ممتعاً أنيقاً، نافعاً لذا في الاستماع، فان للبيان من السحر ما لا ينكر، وان له في التوصل إلى البغية ما هو معروف»[٣]. ولا يقتصر الأمر على الحاجة إلى الفصاحة وإنما لابد للرسول من أن يكون ذو ذكاء حاد وكبير وحجج قوية ووثاب عليها فتكون حجته سريعة لإظهارها وتحت لسانه، كما يجب أن يكون فاهماً للإيماء ويدرك حجج خصمه قبل أن ينطق بها وبعقل يقض وبطبع لا تطبع لأن الطبع يغلب التطبع وبدون تكلف لأن المتكلف أسرع

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص. ن.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤ — ١١٥.

الناس إلى الخطأ وإلى الفضيحة، كذلك يجب أن يحتال في الحوار لأن ذلك أقوم للوصول إلى المطلوب وبلوغ المراد والهدف [١].

إن من الأمور الأخرى التي ينبغي أن يتمتع بها الرسول هي الجرأة والوقار والعقل الراجح ليميز الأمور الصحيحة من غيرها. كذلك يحتاج الرسول إلى الصبر، والحلم، وكظم الغيض، والتأني، والحزم لأن الحزم في ساعته كما قيل هو مفتاح الفوز، كذلك الأمانة صفة ينبغي أنْ تلازم الرسول حتى لا يخون مرسله [٢]. ومن الأمور الأخرى التي ينبغي أن يتحلى بها الرسل هي الابتعاد عن الإسراف في الانقباض لأنه يوجب الوحشة وفي الوقت نفسه إن الانبساط يوجب المؤانسة التي بدورها تجمع القلوب، كذلك الصدق صفة ينبغي أن يتصف بها الرسول؛ لأنها تورث الثقة والثقة تمهد للإجابة. وهنا لا بد من الإشارة إلى المحاذير التي لا بد للرسول من أن يتجنبها عند دخوله أرض المرسل إليه وهي الحذر من شرب الخمر؛ لأنها تفضح شاربها، وتظهر أسراره، كذلك الابتعاد عن الميل إلى النساء، فضلاً عن تجنب التدخل في شؤون المرسل إليه. أما ما يتعلق بالصفات الثقافية فإنها تكمل ما يتمتع به الرسول من صفات جسمانية، وخلقية إذ اشترط في الرسول الثقافة العامة الشاملة التي لا تعني بالضرورة التدقيق في كل علم وإنما أن يكون

(١) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥ – ١١٦.

للرسول أنس بكل علم يستطيع التكلم عنه فيما إذا اضطر لذلك [١]. «ولذلك قالوا ينبغي أن يجمع الفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذي مثال من سلف فيما يورده ويصدره، وان يعلم أصول الخراج والحسبانات وسائر الأعمال ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه»[٢].

وفي بعض الأحيان يلجأ بعض إلى إرسال ثلاثة رسل عندما ينقص شرط من الشروط في أحدهم فكان يرسل ثلاثة رسل الأول صاحب سيف والثاني من أهل الشريعة، والثالث من الكتاب حتى يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات، وآداب المخاطبات. ومما تجدر الإشارة إليه فقد يفضل الرجل النبيل صاحب النسب الرفيع على غيره في اختياره كرسول؛ لأنه ينال من القبول ما لا ينال غيره فضلاً عن كونه لا يصدر منه إلا العمل، والفعل الحسن لأن فعله مقتبس من أهله وراثيا [٣]، وهذا يذكرنا بقول أحد الشعراء اللذين يعدون الرجل النبيل هو الشخص الأمثل ليصبح رسولاً حين يقول:

إذا ما كنت متخذا رسولا فلا ترسل سوى رجل نبيل

فان النجح في الحاجات يأتيلطالبها على قدر الرسول [٤]

---

(١) ابن الفراء، المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(٤) ابن الازرق، المصدر السابق، ص ٧٨.

وفي هذا الصدد يعبر ابن حزم الأندلسي عن مواصفات السفير وما يجب أن يتصف به إذ يقول ما نصه: «ويجب تخيره وارتياده، واستجادته واستفراهه، فهو دليل عقل المرء، وبيده حياته وموته، وستره وفضيحته بعد الله تعالى. فينبغي أن يكون الرسول ذا هيئه، حاذقا يكتفي بالإشارة، ويقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه، ويضع من عقله ما أغفله باعثه، ويؤدي إلى الذي أرسله كل ما يشاهد على وجهه، كأنما كان للأسرار حافظاً، وللعهد وفياً، قنوعاً ناصحا. ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعثه بمقدار ما نقصه منها»[1].

لقد كان في الشعر معنى واضح فضلاً عمّا تقدم حول الرسول وأهميته حينما يشبه بالسيف الذي يجب أن يصقل قبل الضرب به واستعماله في قول الشاعر:.

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساما ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف كهام فضـــــره يعود على المعني منه بجهله [2]

وقيل لمن يريد اختيار الرسول بأن يختاره في السلم والحرب وان الرسول له تأثيرٌ كبير على المرسل اليه لأنه يخشن قلبه أو يلينه ويبعد الأمر أم يقربه فضلاً عن انه يصلح الود ويفسده. ومن خلال الرسول

(١) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد: طوق الحمامة في الإلفة والألاف، ض. ن.: طاهر احمد مكي، دار المعارف بمصر، ط١ (القاهرة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص. ن.

يمكن معرفة عقل مرسله وكذلك يمكن أن نحصل على ما خفي من خبره [١].

لقد كان الرسول يمتحن قبل ترشيحه رسولاً. وكان يحق للملك أن يمتحن من أراد ترشيحه ليصبح رسولاً إذ يمتحنه إمتحاناً طويلاً، قبل أن يجعله رسولا ويرسله إلى بعض خاصته مع مراقبته، فإذا نجح في هذا الامتحان، وأظهر صدق لهجته، جعله رسولا إلى عدوه، وتبقى العين عليه فان اتفقا فيما رجعا به، وعلم بصدق رسوله، جعله رسولاً إلى ملوك الأمم، وازدادت الثقة به، وأقام بعد ذلك خبره، مقام الحجه [٢].

يتضح مما تقدم أن شخصية الرسول شخصية مهمة؛ لأنها تدل على شخصية من أرسله لأن الأول يمثل، وينوب عن الثاني ويحل محله. ولهذا نجد العناية الفائقة في اختيار الرسول أو السفير؛ فضلاً عن الأهمية الفائقة للنتائج المترتبة على المهمة التي توكل إلى الرسول. ولو تتبعنا على سبيل المثال شخصية أحد سفراء الإمارة الأموية في الأندلس يحيى بن الحكم الغزال الذي أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ملك النورمان «المجوس» لوجدناه يتحلى ببعض تلك الصفات ومنها: كان يعرف يحيى بن حكم الغزال بأنه حكيم الأندلس، وشاعرها، وعارفها

(١) المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني: كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، تح: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١ م) ص ٢٢١.

(٢) ابن الازرق، المصدر السابق، ص ٨٠ – ٨١.

أيضاً [١]. وقد وصفه أحد أصدقاؤه بأنه قوي الجسم صحيح البدن ذو جمال واضح بالرغم من الشيب الذي على رأسه بسبب تقدمه في السن إلا أن الأمير لم يزل يداعبه بجمال خلقته وان سبب إختياره للسفارة يعود إلى انه يجمع الحسنيين: جمال الخلقة وحسن الخلق. وقد وصفه البعض بأنه ذو ذكاء حاد وكان مقداماً ويمتلك حنكة سياسية واضحة وثقافة عالية فضلاً عن كونه عالماً بالنجوم [٢].

لقد كان يتمتع بسرعة البديهة وحدة الخاطر وحسن الجواب والإقدام والدخول والخروج من كل باب وحتى الذي صحبه في سفارته الى بلاد النورمان وهو يحيى بن حبيب كان عالماً أندلسيا وأحد الرجال المقربين إلى أمير الأندلس [٣].

وكان للشعر نصيب في تسليط الضوء على إحدى صفات الرسول وهي الحكمة إذ ينبغي أن يكون الرسول حكيما وفي ذلك قول الشاعر:

---

(١) المقري، المصدر السابق: ٣ / ٢١.

(٢) سلامه، علي محمد: الأدب العربي في الأندلس تطوره – موضوعاته واشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط١، (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م)، ص ٢٤٥.

(٣) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، ر: طه حسين، دار العلم للجميع، (دمشق، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ص ١٣٩ وينظر: حمود، سادسة حلاوي: مجلة واسط، جامعة واسط / العراق، مج / ١، ع / ٢، (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ٤٤.

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه [١]

وبعد أن أبرزْنا الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الرسول نجد أنه لابد من القول إنَ الصفات المذكورة آنفاً سواء أكانت عن رسل الرسول محمد (ص) أو سفرائه أو الصفات التي يجب أنْ يتصف بها من جاء في العصور التي تلت عصر الرسول محمد (ص) نقول إن تلك الصفات تكاد تكون مثالية إلى حد ما، لأنه من غير المعقول أنْ تتوافر تلك الصفات كلها أو القسم الأغلب منها في شخص واحد، إذ إنَ تلك الصفات إن وجدت كاملة في شخص واحد أو تكتمل بشخص آخر فهما بمصاف الأنبياء والأوصياء.

(١) ابن الأزرق، المصدر السابق، ص ٧٩.